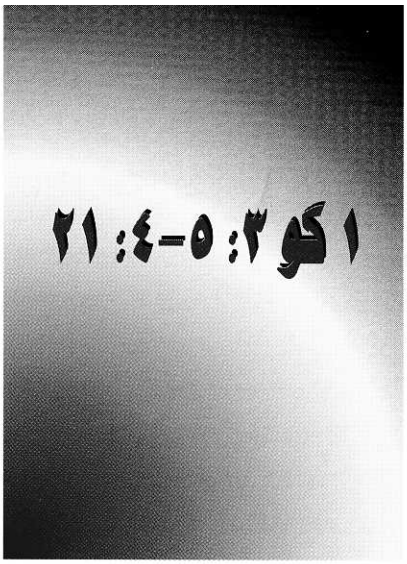

ألرسل خدّام المسيح

الخوري يوسف فخري

أوّلاً: بولس والأزمنة الكورنثيّة

بعد زمنٍ من تأسيس كنيسة كورنتس على يد بولس (أع ١٨: ١-١٨)، إنقسمت الجماعة الكورنثيّة إلى فرقٍ دينيّة. خبرٌ مؤلمٌ نَقَلَه «أهل كَلْوَة» (١: ١١) إلى بولسَ وهو في أَفَسس (حوالي سنة ٥٧ ب .م.). فحيث زرع الرسول الإنجيل نبت الإنقسام بدل الوحدة. أمّا أسباب الإنشقاقات فهي دينيّة وثقافيّة: فبعض الكورنثيّين لم يفهم بعمقٍ معنى المعموديّة (حيث يصبح الكلّ إخوة في المسيح دون تمييز)، والبعض الآخر ظنّ أنّ مواهبَ الروح القدس لم تُعطَ إلاّ للموهوبين. بسبب تلك التيّارات، تشعّبت جماعة كورنتس إلى أربعة أحزابٍ: حزب بولس، حزب كيفا، حزب أبولوس، وحزب المسيح.

فَتَحْتَ راية **حزب بولس**، تجمّع مؤمنون تعلّقوا بشخص الرسول وتعليمه، ورأوا فيه أباً لكنيسة كورنتس التي ولدها في الإيمان. وضمّ **حزب بطرس-كيفا** جماعة «المتهوّدين»، أي الذين آمنوا بالمسيح وظلّوا يمارسون التقاليد اليهوديّة.

أمّا **حزب أبولوس** (يهودي من الاسكندريّة آمن بالمسيح، ضليع في الكتاب المقدّس، متأثّراً بأساليب الفيلسوف اليهودي فيلون التأويليّة ولا سيّما فنّ الإستعارة) فتأثّر بحكمة رئيسه وأسلوبه الخطابي، ممّا جعل الكثير من الكورنثيّين المثقّفين محبّي البلاغة والفلسفة اليونانيّة يُؤخَذُون بشخصيّته. وتألّف **حزب المسيح** من مؤمنين متحرّرين رفضوا التحزّب لأي إنسانٍ، فانضووا تحت راية المسيح بطريقتهم الخاصة.

نحن لسنا أمام كنيسة فيها الهرطقات والانقسامات بكل معنى الكلمة، بل أمام جماعة فيها اتّجاهات متنوّعة تستند إلى بولس وأبولوس وبطرس، على مثال ما يفعله اليونانيّون في حياتهم الثقافيّة فيرتبطون بهذا المفكّر أو ذاك. لكن بولس عارض بشدّة كل أشكال التحزّبات، فالكارزون بالملكوت ليسوا مؤسّسي أحزاب وتيّارات فكريّة، إنّما هم خدّام الكلمة وبنّاؤو الكنيسة: **«فنحن معاونان لله، وأنتم حقل الله وبناءُ الله»** (٣: ٩).

ثانياً: مهمّة الرسل

أمام هذا الموزاييك من الفئات الدينيّة، تألّم بولس كثيراً لأنّه رأى أنّ مسيحيّي كورنتس ما زالوا «جسديّين» (١٣: ١) يسلكون سلوكًا بشريًا بحتًا (٣: ٣) بعيدين عن منطق الله؛ إنّهم جماعة «أطفال في المسيح» (٣: ١)، قاصرين عن إدراك حكمة الله التي تجلّت في يسوع المصلوب. فمنذ أن بشّرهم بولس للمرّة الأولى سنة ٥١، إلى الآن، سنة ٥٧، لم يكبر فيهم الإيمان، بل ظلّوا أُناساً جسديّين يعيشون حسب الطبيعة البشريّة متمسّكين بعاداتهم الوثنيّة الماضية وجهلهم لسرّ الله. والبرهان على ذلك تحزّباتهم لهذا أو لذاك من رسل المسيح. لذلك رأى بولس نفسه مضطرّاً أن يشرحَ لهم جوهر «مهمّة الرسل» و «الخدمة الرسوليّة» في كنيسة المسيح.

فمهمّة الكارزين ومشاركي الرب في العمل، هي الغرس والسقي: **«أنا غرست، وأبولوس سقى، ولكنّ الله هو الذي كان يُنمي»** (٣: ٦). فالكنيسة هي غرس الله وهو

الذي ينمّيها. أمّا الرسل فهم خدّام و«شركاء في العمل» (٣: ٩)، والله يعطيهم وظائفَ ومواهبَ متنوّعة للخدمة والعناية بالزرع، ويفرض عليهم التضامن في العمل (٣: ٩). فهم ليسوا مؤسّسي مذاهب فلسفيّة أو إيديولوجيّة أو أصحاب نظريّات ماورائيّة يختلف عليها البشر ويتخاصمون، بل خدّامٌ للرب يسوع والتبشير بكلمته في العالم أجمع. وكلٌّ يبشّر حسب ما أوتي من مواهب.

لذا يعترف بولس صراحة بحقّ أبولوس في التبشير، ويقرّ بنجاحه في هذا الحقل، لا بل يعتبر أنّ عملَه وعمل أبولوس يكمّلان بعضهما بعض. ففِعْلاً الزرع والسقي لا ينفصلان أبداً، فالغارس والساقي شيء واحد رغم الفرق بالمهمّة. أمّا نجاح عملهما فلا يتوقّف على إرادتهما الذاتيّة وبراعتهما الشخصيّة ومبادراتهما، بل على الله ونعمته: «**فلا الغارس بشيء ولا الساقي، بل الله الذي يُنمي**» (٣: ٧). ومسؤوليّة العمّال في البشارة خطيرة جداً لأنّ عملهم سيخضع لمحنة النار: «**سيظهر عمل كلّ واحدٍ، فيوم الله سيُعلنه... والنار ستمتحن قيمة عمل كل واحدٍ**» (٣: ١٣). فالنار رمز نبويّ وصورة رؤيويّة تقليديّة، تحرق كلّ هشّ فتصفّي المعدن الثمين من الزغل (أش ١: ٢٥). لا تعني النار هنا العقاب الأبدي في جهنّم، بل التحذير الخطير للعاملين مع الرسل في بناء الكنيسة. لقد وضع بولس الأساس كمهندس ماهر بنعمة من الله «**وفق نعمة الله التي وهبت لي**» (٣: ١٠)، والآخرون يبنون فوق هذا الأساس، لأنّ الله دعاهم هم أيضاً إلى العمل، فتنوّعت أدوارهم. عمل البعض جيّد، وعمل البعض الآخر رديء (٣: ١٢–١٥). هناك ثلاث مواد ثمينة تدلّ على أنّ البناء رفيع وثابت وقيّم: الذهب والفضّة والحجارة الكريمة. ثمّ ثلاث مواد لا تثبت طويلاً بل تفنى بسرعة: القشّ والتبن التي تدلّ على العطب السريع. فإنّ يوم الرب سيمحّص كلّ مواد البناء هذه، ويظهر كلّ كارزٍ–بنّاء على حقيقته، وينال أجر بنائه، هشّاً كان أم ثابتاً. لذا، يدعو بولس الرسول كلّ المبشّرين إلى اليقظة والحذر وتحمّل المسؤوليّة، فالمسيح لا يحابي الوجوه بل سيُكشف كلّ مبشّر على حقيقته يوم الدينونة: «**فمن بقي عمله الذي بناه على الأساس نال أجره، ومن احترق عمله كان من الخاسرين**» (٣: ١٤–١٥).

ثالثاً: أنتم هيكل الله

تحدّث بولس عن المبشّرين الذين يبنون بمواد ثابتة (٣: ١٤)، والذين يبنون بمواد تُرَمَّد في النار (٣: ١٥)، وعن مجازاة كلٍّ منهما. وها هو يتحدّث عن الجماعة المسيحيّة، «هيكل الله» الحقيقي في العهد الجديد، التي هي امتداد لهيكل أورشليم مركز حضور الله. يستعمل بولس اللفظة اليونانيّة «نَاوُسْ» أي هيكل، وتعني القسم الداخلي من هيكل أورشليم، قدس الأقداس حيث تابوت العهد وجرّة المنّ وعصا هارون؛ هناك يسكن الربّ وسط شعبه. فالجماعة المسيحيّة هي هيكل الله الجديد، وقد حلّت مكان

Voir *La Bible, Nouveau Testament*, tome premier, Le livre de Paris, p. 170.

«صرنا مشهداً للعالم والملائكة والبشر» (١كو ٤: ٩)

بولس في السجن (بيبليا [مدينة] البندقيّة، حفر على الخشب، من القرن السادس عشر)

الهيكل الأورشليمي القديم، وفيها يحلّ روح الله ويقيم بنوعٍ أعمق وأكمل من حضور الله في الهيكل القديم. فالجماعة إذاً مقدّسة، لأنّ روح الرب حالٌّ فيها، ولكن يوجد من يهدمها ولا يبنيها؛ مثل هؤلاء ينتهكون عمل الله والرسل والمبشّرين. من أفسد هيكل الله أهلكه الله. كان من يتعدّى على قدسيّة الهيكل في العهد القديم يُقتل، فماذا يكون عقاب الذي يتعدّى على قداسة جماعة الله؟

لكن مَنْ هم هؤلاء المدمّرون؟ هم الذين أغوتهم حكمة هذا العالم فاستغنوا عن حكمة الله. فما أحقر حكمتهم أمام الحكمة الإلهيّة! ما أحقر انقساماتهم أمام الإنجيل الذي يشّرهم به بولس! وما أحقر تحزّباتهم لرسول ضدّ آخر! فليس هم لبولس، ولا لأبولوس، ولا لبطرس، ولا لأحد غير المسيح. فهم لا يخصّون المبشّرين، لأنّ هؤلاء هم خدّام لهم. فالرسل جميعهم، والعالم والحياة والموت والزمن الحاضر والمستقبل والخلق بأسره، في خدمتهم، حتّى يكونوا هم للمسيح وحده، الذي هو لله الآب.

فالرسل ليسوا أصحاب تحزّبات وانقسامات، بل هم خدّام المسيح والكلمة، وبنّاؤو «هيكل الله»، يتابعون عمل الكرازة الرسوليّة. بولس وضع الأساس، والآخرون يبنون على هذا الأساس الذي هو يسوع المسيح.

رابعاً: الرسل خدّام المصلوب

إنّ تحزّبات مؤمني كورنتس هي ثمرة كبرياء وادّعاء بالحكمة والفطنة وعُجبٍ بالنفس وجهل للخدمة الرسوليّة. أمّا الرسل فهم مثال في التواضع والعطاء الكامل والتفاني، لأنّ من يقوم بمهمّة الكرازة يجب أن يكون مثالاً، فيبيّن لأعضاء الجماعة أنْ لا فائدة من التنافس المليء بالتكبّر والانتفاخ بين أعضاء الجماعة. هذا المبدأ طبّقه بولس على نفسه شخصيّاً، وعلى أبولوس، فصار كلاهما مثالاً لأهل كورنتس: «**وفي هذه الأمور، ضَرَبْتُ مثلاً من نفسي ومن أبولوس لأجلكم لتتعلّموا بنا، فلا ينتفخ أحدٌ مع أحدٍ على آخر**» (٤: ٦). لكن ظنّ الكورنثيّون خطأً أنّهم دخلوا إلى ملكوت الله، لهذا قال لهم بولس ببعض السخرية: «**والآن شبعتم واغتنيتم! صرتم ملوكاً بدوننا!**» (٤: ٨). ثمّ يشرح لهم بدقّة واقع الرسل في العالم، فهؤلاء يتسلّحون بحكمة الله التي تعاكس حكمة البشر. فالرسل الذين دعاهم الله وحمّلهم البشرى، لا يحفظهم قصده الإلهي من صعوبات الحياة الزمنيّة ومشقّاتها وتجاربها، بل يريدهم أن يحوّلوها إلى شركة واعية حرّة في آلام المصلوب المهان المحتقر! فالرسل هم خدّام المصلوب وقد جُعلوا آخري الناس، صاروا كالمحكوم عليهم بالموت، أصبحوا جهّالاً وضعفاء ومحتقرين، لا بل عراة وجياع وعطاش ومرذولون من الكلّ لأجل المسيح والكلمة. ولكنّ شهادتهم التي ترافقها المباركة والصبر والأناة والفرح تَقَوَّتْ وصارت بيّنةً للجميع، لأنّهم يتحمّلون الشتيمة والإهانة والاضطهاد والموت. صار الرسل مشهداً («تِئاتْرون» لفظة يونانيّة تعني الملعب الذي كان يُطرح فيه المحكوم عليهم بالإعدام فريسة للوحوش الضارية بمشهد من الحاضرين) للعالم والملائكة والبشر كالمحكوم عليهم بالإعدام. وصف أدبي رائع لواقع حال الرسل، لكن هذا الوصف لا يخلو من ألم وعتاب مبطّنين! فيذكّر بولس الكورنثيّين بالجلجلة التي يعيشها الرسل كل يوم من أجل البشرى، كما يذكّرهم بالاضطهادات التي يعانيها المبشّرون، ولا من «قيرواني» يساعد على حمل الصليب! فانطبعت في حياتهم سمات يسوع المصلوب، وأصبحوا على شاكلته مصلوبين عن العالم، يكمّلون في جسدهم ما نقص من آلام المسيح.

خاتمة

بعد أن شرح بولس للكورنثيّين مهمّة الرسل والخدمة الرسوليّة، يترك لهجة التوبيخ والتأنيب، ويُنهي كلامه بتحريض أبويّ وجّهه إلى أبنائه الروحيّين: «**لست أكتب إليكم بذلك لأخجلكم، بل لأنصحكم أولاداً لي أحبّاء**» (٤: ١٤). فبولس أبٌ عطوف يلاطف بنيه الذين ولدهم في يسوع المسيح. بالإنجيل ولد بولس الكورنثيين يوم أعلن لهم البشرى، فهو أبوهم الروحي ويطلب منهم أن يقتدوا به كما يقتدي هو بالمسيح: «**إقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح**» (١ كو ١١: ١)، أي أن ينبذوا الإنشقاقات والتحزّبات ويكونوا على رأيٍ واحدٍ مجتمعين سويّة تحت راية المسيح. ثم يتوجه بكلام تحذيرٍ وتهديدٍ شديدين ضد «المتحزّبين المنتفخين» من مؤمني كورنتس، ويدعوهم إلى نبذ روح الفئويّة والامتثال به كخادم أمين للمسيح وبنّاءٍ ماهر للكنيسة ورسولٍ ملؤه الغيرة على نشر الكلمة.

أمانة للمسيح والكنيسة، غيرة رسوليّة، تفانٍ في الخدمة، بناء ثابت، صفات أربع جمعها بولس في شخصه ويريدها أن تتجسّد في كلّ مؤمني كورنتس وفي كلّ مؤمن بيسوع على كرّ الأجيال.